ملف خاص بصوت البصرة

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية والنشر
الجمهورية العراقية

المجلد الرابع عشر - العدد الثالث ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٣

WWW.ATTAWEEL.COM

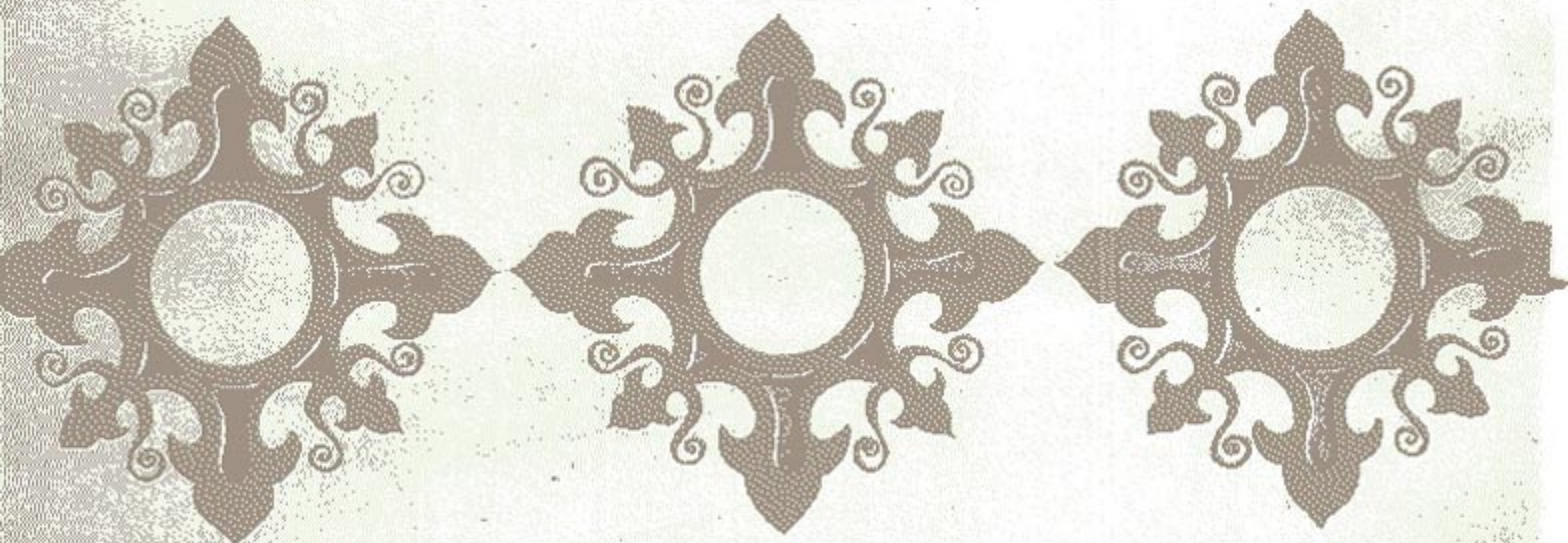

أسعد الحكيم محمد

شرح الجمل لابن عصفور

تحقيق الدكتور صاحب جعفر ابو جناح ـ مطبوعات
وزارة الأوقاف العراقية

نقد بقلم الدكتور

عياد الثبيتي

شرح الجمل لأبي الحسن بن عصفور الاشبيلي من اشهر مؤلفاته ـ ان لم يكن اشهرها ـ فقد نقل عنه اقرانه كابن مالك ، وابن الضائع في شرحه الجمل ، وتعقبه كثيراً . كما نقل عنه تلميذه ابو حيان وتلاميذ ابي حيان : المرادي ، وابن عقيل ، وابن هشام .. ، وكثير من العلماء بعدهم كالشيخ خالد الأزهري ، والسيوطي .

ومنذ وقوفي على مصورة نسخة بني جامع باسطنبول من هذا الشرح بمعهد المخطوطات عام ١٣٩٧ هـ ، وتصويري اياها واستفادتي من بعض نصوصها فيما كتبت عن ابي الحسين بن الطراوة ، ثم علمي أن باحثا عراقيا كان قد انتهى من تحقيقه ودراسته ، ونال على ذلك درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، والامل في أن أراه مطبوعا يقوى . فلما كان عام ١٤٠٠ هـ اخذت حاجتي الى شرح الجمل لابن عصفور تزداد ، ورغبتي في الحصول على نسخة اخرى منه تظهر ، فقد بدأت أعمل في تحقيق ودراسة « السفر الأول من كتاب البسيط في شرح جمل الزجاجي » لأبي الحسين بن ابي الربيع واخذت اجمع كل ماأستطيع جمعه من شروح الجمل لاتمكن من وضع شرح ابن أبي الربيع في مكانه الصحيح بين تلك الشروح ، وللاستعانة بشروح قرنائه المشاركين له في الأخذ عن بعض الشيوخ ، وفي الافاده من كثير من المصادر المتداولة في عصره في ايضاح بعض غوامضه ، وكان مما صورت من معهد المخطوطات عام ١٣٩٧ هـ شرحا للجمل مجهول المؤلف ـ نسخته الأصلية في مكتبة جامع المظفر بتعز باليمن ـ مبتورا من اوله ومن آخره . وقف عليه وعلى شرح الجمل لابن عصفور احد أخواني[1] ، فتبين أن ذلك الشرح نسخة من شرح الجمل لابن عصفور ، وقد افادتني هذه النسخة اليمنية في حل كثير من الاشكالات التي اعترضتني في النسخة الأخرى اذ انها ـ النسخة اليمنية ـ « نسخة بقلم نسخي جيد ، من خطوط القرن الثامن تقديرا ، والنسخة مقابلة .. » .

ولم يظل اعتمادي على هاتين النسختين اذ طبع الجزء الأول من الكتاب في العراق سنة ١٤٠٠ هـ ، حققه ودرسه دراسة جيدة ـ الدكتور صاحب جعفر ابو جناح ، وقدم له الدكتور شوقي ضيف فأثنى على الكتاب وعلى تحقيقه ثناء عاطرا ، والكتاب جدير بالثناء ، وعمل المحقق ـ في ضوء ماتيسر له من نسخ ـ يستحق التقدير ، واحب ان اوكد هنا انني افدت كثيرا من الكتاب ومن هوامشه في تحقيق كتاب البسيط لابن ابي الربيع ، لكني وقفت في اثناء ذلك على هنات بعضها يتصل بنص ابن عصفور ، وبعضها بالمقدمة التي كتبها المحقق المجتهد ، او بالتخريجات والتعليقات التي ذكرها في هوامشه . وما كنت ارغب في نشر هذه

---

(١) هو الزميل الاستاذ / حماد الثمالي .

WWW.ATTAWEIL.COM

الاستدراكات او الملاحظات لولا أمران في غاية الاهمية :

اولهما : واهمهما ـ ان من شرح الجمل لابن عصفور نفيسة لم يطلع عليها المحقق ، ولايجوز اعادة نشر الكتاب دون الاطلاع عليها ، اذ انها بخط ابي حيان تلميذ ابن عصفور ، وله عليها تعليقات جيدة . ذكر هذه النسخة بروكلمان(٢) ، لكنه ذكرها ضمن شروح جمل عبد القاهر الجرجاني .

ثانيهما : ان لابن عصفور ترجمة جيدة في الجزء السادس من ملء العيبة لابن رشيد ، وفيها مايصحح بعض ماجاء في الترجمة التي صدر بها الدكتور صاحب تحقيقه ، وفيها مايؤكد بعض ما رجحه . ولاعتب على المحقق الفاضل في عدم اطلاعه على هذه الترجمة ، اذا الجزء السادس من ملء العيبة لايزال مخطوطا . كما ان ترجمة ابن عصفور فيه جاءت عرضا عند ذكر ابن رشيد فيمن لقيهم بتونس عند الصدور ـ ابا العباس الكتاني تلميذ ابن عصفور ومما قال : « ومما افادينه صاحبنا الاستاذ ... الكتاني التونسي ماعلقناه عنه من كتابه الذي الفه في التعريف [بشيخه] الاستاذ ابي الحسن بن عصفور ، وذكر سلفه ، وذكر تصانيفه [...] احواله ، واسماه الدر المنثور في اخبار ابن عصفور (٣) .

اما الملاحظات والاستدراكات التي اشرت اليها فاهمها :

اولا : ملاحظات على المقدمة .

١ ـ ص ٢١ س ١٢ قال الدكتور صاحب ـ بعد ايراد ماذكره ابن عبد الملك المراكشي من سلسلة نسب ابن عصفور ـ « فجعل اباه ابا الحسين ، وزاد في سلسلة نسبه ستة من اجداده ممن لم يذكرهم غيره من المؤرخين .. » . قلت : ذكر هؤلاء الستة ابو العباس الكتاني تلميذ ابن عصفور في كتابه الدر المنثور الذي سبقت الاشارة اليه ، وزاد اشياء لم يذكرها ابن عبد الملك ولاغيره ممن اطلعت على كلامهم ، ونقل ذلك منه ابن رشيد في ملء العيبة قال : « هو ابو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن احمد بن محمد بن احمد بن عمر بن عبد الله بن منظور الحضرمي ، وجده احمد بن عمر هذا يكنى ابا القاسم ، ذكره ابو عبد الله الخولاني في اشياخه ، وابو عمر بن عبد البرفي اشياخه ، والحميدي ، وابن بشكوال ، عتاب وروي عنه بن عبيد الله بن يوسف بن يحيى [.....] احد رجال الصلة »(٤) .

٢ ـ ص ٢٢ س ١ ـ) عقب الدكتور صاحب على ماجاء في الذيل والتكملة من ان ابن عصفور هو « علي بن ابي الحسين بن مؤمن » بقوله : « ولكن ابا الحسين الذي جعله ابن عبد الملك ابا لابن عصفور ، وهو مالم يذكر معاصرو ابن عصفور ... نقف امامه بشيء من التردد ، ونحتمل انه تحريف او وهم سببه كنية ابن عصفور المعروفة وهي ابو الحسن » .

قلت : عادة ابن عبد الملك ان يذكر الكنية بعد ذكر المدينة التي منها المترجم ، قال في الترجمة التي قبل ترجمة ابن عصفور : « على بن موسى .... : بلنسي ابو الحسن الشبارتي (٥) وقال في ترجمة ابن عصفور « على بن ابي الحسين .... : اشبيلي استوطن بآخره تونس ابو الحسن ابن عصفور على (٦) » ، وقال في الترجمة التي تليها : » على بن ميمون بلنسي ابو الحسن بن الشولية وهذا يعني ان ابا الحسين المذكور ليس فيما ارجح ـ تحريفا اووهما سببه كنية ابن عصفور بل هو فيما ارجح كنية لوالد ابن عصفور : مؤمن بن محمد » وكلمة « ابن » التي بعدهما مقحمة ، فصحة عبارة ابن عبد الملك ـ ان صح مارجحته : « علي بن ابي الحسين مؤمن ... » .

٢ ـ ص ٢٢ س ٨ ـ ١٤ قال الدكتور صاحب « ولد ابن عصفور باشبيليه عام سبعه وتسعين وخمسمائه ... وبها نشأ وتعلم . ولم تذكر لنا المصادر شيئا عن نشأته الاولى او احوال اسرته ووضعها الاجتماعي والعلمي ، كما لم تحدثنا عن مراحل تعليمه الاولى ، وماأخذ من علوم العصر او مبادئها ... »

قلت : يحسن ان انقل هنا مانقله ابن رشيد عن ابي العباس الكتاني مما يتعلق بميلاد ابن عصفور وماأخذ عن شيوخه في صغره : قال ابو العباس : « غير انه كثيرا مايقول ـ ابن عصفور:ـ

يغلب على ظني انني ولدت عام السيل

---

(٢) تاريخ العربي ٥/٢٠٥ .

(٣) ملء العيبة ٦/ل ٩٠ .

(٤) ملء العيبة ٦/ل ٩٠ ، وانظر ترجمة احمد بن عمر هذا في جذوة المقتبس ص١٢٦ ، والصلة ١/٣١ .

(٥) الذيل والتكملة ٥/١/٤١٢ .

(٦) المصدر نفسه ٥/١/٤١٤ .

(الكبير) باشبيلية ، لأن والدي رحمه الله كثيرا ماكان يقول ممازحا لبعض [....] ممن لهم اولاد في مثل سني : هوءلاء الأولاد [.....] لانهم جاء بهم السيل الكبير . وكان مجيء السيل الكبير الى اشبيلية على ماحكاه ابو الحجاج البياسي في أواخر جمادي الأخرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة في شهر مارس العجمي من السنة . ولما حصل الكتاب العزيز شرع في تعلم العربية واللغة ، فأول من فتق لسانه بالعربية ، وعلمه الاسم ، والفعل ، والحرف الاصطلاحي ابو الحسن الدباج ، وهو اول من تفرس فيه الامامة في العربية من صغره ، ثم انتقل الى مجلس ابي علي الشلوبين ، وعليه كان معوله ، فلازمه عشرة اعوام الى ان ختم عليه الكتاب في نحو سبعين طالبا بذهم في الذكاء مع نبلهم ، وكانوا من أصحابه فعادوا من تلامذته ، وانتقل اكثرهم الى القراءة عليه ، ولقي منه استاذه ابو علي في أواخر كتاب سيبويه ، وخصوصا في التصريف عرف القربة ... وسمعته ـ رحمه الله ـ يقول مرارا : ماانتفعت بشيء من قراءتي للعربية على احد كانتفاعي بمطالعتي لنفسي ، وكان من اصبر عباد الله على الدؤوب على النظر ليلا ونهارا لايمل من ذلك ، سمعته مرارا يقول : كنت في اول قراءتي ـ وانا شاب ـ أجلس في أول الليل تماما او غير تمام لمطالعة دولي فيستغرقني النظر فما اشعر الا لاشراق الشمس ، وكنت اقيم الأشهر الكثيرة لااخرج من داري الا وقت القراءة وايام الجمع ، مستغرقا في المطالعة والتقييد ليلا ونهارا ، حتى اني كنت اذا خرجت الى القراءة يلقاني والدي او اخي او بعض اصحابي فيكلمني فما اعرفه ، ولااعرف مايقول ، ولاارد عليه كلمة ... (٧) » .

٤ ـ ص ٣١ س ٤ ـ ٧ قال الدكتور صاحب : « ثم غادر ابن عصفور الأندلس ، وعبر البحر الى افريقية واقام بتونس مدة يسيرة مع الأمير ابي عبد الله محمد بن الامير ابي زكريا يحي بين ابي حفص صاحب تونس ، ويظهر ان كان باستدعاء من الامير المذكور ... » .

قلت : حدد ابو العباس الكتاني السنة التي دخل فيها ابن عصفور تونس ، وغرضه من مغادرة الأندلس ، وذكر طرفا من تنقلاته فقال ـ فيما نقله ابن رشيد ـ : « وخرج من اشبيلية وتجول في بلاد الأندلس محترفا بالتجارة ، ومدرسا حيثما حل منها ثم انتقل الى تونس فدخلها سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عازما على استطيان البلاد الشرقية ، والتضلع فيها من العلوم العقلية ، والاقران تقعده ، ولسان الحال ينشده :

فهيهات هيهات العقيق واهله
وهيهات خل بالعقيق نواصله

فأقام بتونس مدة ، وتجول في بلاد افريقية معلما ملكها وابناءه ، ثم خرج منها ، وتجول في بلاد المغرب الى ان وصل الى مراكش ثم عاد الى بلاد الأندلس على مالقه [....] ثم الى تونس ، واقام بها الى ان توفي » (٨) .

٥ ـ ص ٢٥ س ١٣ ـ ١٦ انتهى الدكتور صاحب الى أن وفاة ابن عصفور كانت عام ٦٦٩ هـ ـ وهو حق ـ لكنه بنى ذلك على أن مارجحه « رواية ابن عبد الملك ، وهو معاصر لابن عصفور ، وهي ايضا رواية الزركشي ، وليس هناك ماينقضها او يعارضها » .

قلت : يعارض هذه الرواية مانقله الزركلي عن وفيات ابن منقذ أن ابن عصفور توفي سنة ٦٦٧ هـ غريقا بتونس « وقد أورده الدكتور صاحب قبل تسعة أسطر من كلامه المذكور آنفا . هذه واحدة .

والثانية : أن الدكتور صاحب ذكر ص ٢٤ ان وفاة ابن عصفور في رواية ابن عبد الملك كانت سنة تسع وخمسين وستمائة ، ورجح صاحب ان خمسين محرفة عن ستين ، وهو ترجيح قوى ، لكنه لايرقى الى ان يساق على انه رواية ابن عبد الملك .

قلت : ان ماانتهى اليه الدكتور صاحب من ان وفاة ابن عصفور كانت عام ٦٦٩ هـ حق ، وازيد ان مارجحه في سبب وفاته هو الراجح ، قال ابن رشيد نقلا عن تلميذ ابن عصفور ابي العباس الكتاني » ... ثم عاد الى تونس ، واقام بها الى ان توفي من شكاية يسميها الاطباء : شطرغب ، ومعنى ذلك حمى مركبة من حميين بلغمية وصفراوية اثر الزوال من يوم السبت الرابع والعشرين من ذي القعدة عام تسعة او وستين وستمائة ، ووافق ذلك من العجمي الرابع من يوليه ، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بنحو الساعتين بالجامع الأعظم ،

(٧) ملء العيبة ٦/ل٩٠ ـ ٩١ ، وقد اثبت نص لما فيه من الفوائد ، وان كان في اخره من المبالغة ما لا يخفى .

(٨) ملء العيبة ٦/ل٩١ .

صلى عليه خطيبه ابو القاسم بن عوفة ودفن بمقبرة ابن مهنا بمقربة من باب القصبة ... » (٩)

٦ ــ ص ٣٧ عقد الدكتور صاحب مبحثا لآثار ابن عصفور . وفي بعض ماقال مجال للمناقشة لكني سأكتفي بايراد ماذكره أبو العباس الكتاني من مؤلفات ابن عصفور ، وما استدركه عليه ابن رشيد ، وفي ذلك فوائد كثيرة ، قال أبو العباس :

« ... منها : المقرب ، والمستمع في التصريف والمفتاح شرح ابيات الايضاح ، **والهلالي : مقدمة في النحو ، الفها لقائد هلال** . والازهار ، وهو كتاب فيه تفضيل بعضها على بعض وماقيل فيها ، وانارة الدياجي في شرح الاحاجي التي صنعها ابو بكر بن الصابوني ، ومختصر الغرة لابن الدهان في شرح اللمع ، ومختصر المحتسب ، ومفاخرة السالف والعذارة : **هذه كلها اتمها** .

ومن الذي قد مات قبل اكماله : شرح الايضاح انتهى فيه الى آخر النصف الأول ، وشرح المقرب ، وشرح الجزولية الى باب النعت ، وكان لايرضاه ، وشرح الأشعار الستة ، وشرح الحماسة ، وشرح المتنبي وسرقات الشعراء ، والبديع ... » (١٠) .

وقال ابن رشيد : « ... قلت : اغفل ابو العباس من ذكر تصانيفه ــ وهو من اجلها ، وكان مما يفتخر به ــ كتاب ضرائر الشعر ، وهو فيما بلغني تأليف حسن ، وغالب ظني انني سمعت صاحبنا ابا العباس يذكره ، وكان عنده منه نسخة ، وكان يضن بها ، وله ايضا شرح الجمل وغير ذلك ، وشرح كراس الجزولي الذي ابتداه هو هو الذي كمله ابو الحسن الابذى ، وجاء التكميل أحسن من الابتداء رحم الله المبتدى والمتمم » (١١) .

ثانيا : دراسة الكتاب

٧ ــ ص ٤٦ س ١ ــ ٤ قال الدكتور صاحب : « ويذكر هنا ان لكتاب الجمل نسختين ، نسخة صغيرة مختصرة ونسخة كبيرة ، والذي يظهر ان مابين ايدينا اليوم هي النسخة المختصرة التي حذف منها الزجاجي كثيرا من الامثلة التي كان القدماء يعيبون على الكتاب كثرتها ... »

قلت : لم اجد في المصادر التي اطلعت مايدل على ان كتاب الجمل نسختان صغرى وكبرى واظن ظنا مسامتا لليقين ان المسالة وهم وقع فيه محمد بن ابي شنب في مقدمة الجمل فتبعه بعض الباحثين (١٢) . والذي اوقع في هذا الوهم ــ فيما اظن ــ قول ابن خير الاشبيلي : « كتاب المقدمة في النحو ، تاليف أبي الحسن طاهر بن احمد بن بابشاذ ... ، وكتاب شرح الجمل النسخة الصغرى منه : والزيادة التي بين الصغرى والكبرى » (١٣) ، وليس في نص ابن خير مايدل على ذلك ، فالاظهر ان ابن بابشاذ شرح الجمل شرحا مبسوطا ، وآخر مختصرا ، ثم املى من بعد بضعة تعليقات تسد الفجوات التي لم يتكلم عليها في الشرح المختصر » (١٤)

٨ ــ ص ٥٧ س ١١ ــ ١٢ تحدث الدكتور صاحب عن مخالفات ابن عصفور الزجاجي فقال : » ويمكن القول ان خلافات ابن عصفور مع الزجاجي تنحصر في جانبين اثنين :

اولهما : خلاف في الحدود والمصطلحات .

ثانيهما : خلاف الاراء النحوية والصرفية واللغوية » .

قلت كان يحسن ان يقف المحقق على الكتاب « اصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل » لابن السيد . وغيره من الكتب التي عني اصحابها بالاعتراض على ابي القاسم ليبين ما في اعتراضات ابن عصفور من جدة ان كانت . ولو فعل ذلك لاعاد النظر في بعض ما قال في المبحث الذي تكلم فيه عن الحدود في شرح الجمل لابن عصفور .

---

(٩) ملء العيبة ٦/ل٩١ .

(١٠) ملء العيبة ٦/ل٩١ .

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) الزجاجي لمازن المبارك ص ٢١ .

(١٣) فهرسة ابن خير الاشبيلي ص ٢١٥ .